العلم

الإثنين 20 من ذي الحجة 1438 الموافق 11 من شتنبر 2017

العدد : 23934

المدير: عبد الله البقالي

رئيس التحرير: عمر الدركولي

ثمن : المغرب أربعة دراهم (4د)

تونس : 2.50 ملم الجزائر : 2.50 دينار

فرنسا EURO 0.80

من ذاكرة «العلم»

نحن في سنة 2026 و«العلم» في عمرها الثمانين

جريدة «العلم»

71 سنة من الحضور والمواقف النضالية في المشهد الإعلامي المغربي والعربي

رواد أضاؤوا طريق «العلم»

محمد الخامس

علال الفاسي

أحمد بلا فريج

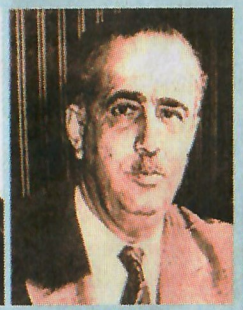

عبد الخالق الطريس

عبد الجليل القباج

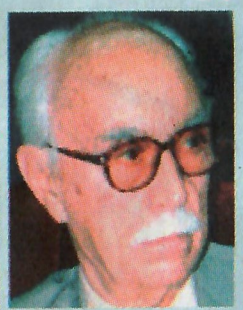

عبد الكريم غلاب

محمد العربي المساري

عبد الجبار السحيمي

[الإنسان والزمن ملحمة كون ووجود؟ أيهما بالآخر أو صُنْعُه؟ ما الفاصل، عدا العقل، بين حاضر منفلت وماضي هو مستقبلنا الذي كان، ومستقبل هو ماضينا الذي يكون . . . أخيرا الإنسان مستقبل والمستقبل إنسان، سيان . إلى روح الوالد . . .

أحمد غلاب

حديث الأربعاء

نحن في

أصبح اليوم غائما، أمطار الخريف أهلت. أمطارها تنزل كخيوط حريرية في لون رمادي متفتح. يحكي لنا الآباء أن شهر سبتمبر كان من أسوأ شهور السنة في مدينة الرباط، تتصاعد فيه الرطوبة وتغم فيه الآفاق ولا سحاب،وتطبق السماء على الأرض وكأن لها معها ثرة.

الحياة غيرت الطبيعة في دورتها المبتهجة. جدودنا كانوا يحكون لآبائنا أن الخريف بأمطاره يبدأ مع رحيل غشت، والفلاحون يفاجأون بالغيث قبل أن يجمعوا ما تبقى من تين وعنب. وخلف من بعدهم زمان كانت الأمطار لا تزور في الخريف إلا غبا. ثم جاءت دورة العطاء. واليوم تحتفل «العلم» بسنتها الثمانين، وبشائر عام جديد تحييها، وأحسن تحية قطرات الخير تنزل من السماء.

دخلتُ،غرفة العمليات» في بناية «العلم» الجديدة. قيل لي إنها كانت جديدة، فقد بنيت سنة 2000. كانت، والعهدة على الراوي، في أطراف المدينة في وسط غابة من أشجار البرتقال... هكذا قالوا.

اليوم تحيط بها البنايات من كل جانب. قبل أربعين سنة كان المحررون يكتبون مقالاتهم وأخبارهم وكأنهم على رصيف شارع علال بن عبد الله بين ضجيج السيارات والحافلات والدراجات وصفارات الشرطي وهو ينبه المخالفين. قالوا: «وفررنا من الضجيج إلى الهدوء بإدارتنا ومطبعتنا حيث يهب علينا نسيم زهر البرتقال في الربيع، وننعم ببرتقالة نقطفها من أقرب شجرة لنا في الشتاء».

ولكن المدينة زحفت وإدارة «العلم» ومطبعتها بدأت تبدو كقزم وسط عمارات تطل علينا، وكأنها تطاول «العلم» فلا تطوله.

هل سنبقى في جزيرة أرضية معزولة وسط قامات العمالقة يكسو هيكلهم حجر وإسمنت وحديد؟

لا، سنفر من الضجيج الهادر الصاخب المزعج مرة أخرى...ويوم تحتفل «العلم» بعد عشرين سنة بمرور قرن على إنشائها، ستكون إدارتها وسط جزيرة في قلب المحيط... من هناك ترسل إشعاعها.

ذكروني بأن «العلم» تشعل اليوم ثمانين شمعة ... كان خمسمائة من المحررين في حالة استنفار، فيهم حفيد لعبد الجبار، وحفيدة لي، وحفيد لابن علال الفاسي، وشاب طويل سألت عن إسمه فأجاب: نصر بن شهيد بن عبدالعزيز بن ادريس..

قلت لنفسي، وما تزال الدهشة تشد على لساني:

- لم أشتغل بهذا العمل ولا أتقنه. أن أعود القهقرى؟ شيء لا يطاق!

أدرك أمين ما بي ويبدو أن أعصابه ماتزال هادئة، ولو أنه يعمل في الصحافة. كانت صحافتنا في مطلع شبابها ورجولتها تثير أعصاب من لا أعصاب له. واليوم يتعاملون مع الكلمة كما لو كانوا شعراء لا صحفيين.

قال أمين وهو يعالج التوتر الذي أحدثته كلماته في نفسي وأصابعه تشير إلى الآلة:

- أكتب ... أكتب ...

قلت:

- ما أنا بكاتب!

ضحك ملء فيه وهو ينظر إليّ في إشفاق ثم قال:

- بل أنت الكاتب. إمل بفمك. لا تستخدم أناملك، هي في طاعتك...

وضعت نظارتي على عيني ليزداد وجهه قربا مني. فقد أحببت أن أقرأ في وجهه ما لا تفصح عنه كلماته. تغاضيت عن الآلة، قلت مفاجئا:

- كم تطبعون من«العلم»الآن؟

أجاب في زفرة وحسرة:

القراء هي مشكلتنا... مليونا نسخة لخمس وأربعين مليونا من السكان...التخلف...لم تدخل بعد الصحيفة عقل كل مغربي...

قلت وأنا أكتم إندهاشي من كلمة مليونين. هو رقم لم ينطق به إلا أغنياء الحرب...

- لعله التلفزيون والإذاعة.

إستغرب من كلماتي وهو يصحح معلوماتي:

- التلفزيون أصبح متجاوزا. أفلس! لم يعد يبهر أحدا. وقت المشاهدين أصبح أثمن من أن تبهره الصورة، ولو كانت لأجمل جميلات الدنيا.

قلت:

- لعله الكتاب...

أجاب:

- هو ذاك. الكتاب يطارد الصحيفة...القارئ الذي يختار بين الصحيفة والكتاب، يفضل الكتاب، يزعم أنه أكثر فائدة، يستحق الوقت الذي يصرفه فيه.

- والصحيفة...؟

سنة 2026 و«العلم» في عمرها

عبدالعزيز بن ادريس..

قال لي شخص حسبته رئيس التحرير:

-إكتب لنا مقالا عن «العلم» في سنتها الثمانين.

قلت:

- أكتب عن تأسيس«العلم»وتاريخها.

أجاب في جرأة مؤدبة:

-لا تعش في التاريخ ...

قلت:

- وفي أي عصر نحن حتى نلغي التاريخ؟

أجاب:

- تجاوزنا الربع الأول من القرن الواحد والعشرين.

قلت متحديا:

- سأكتب إذن عن مستقبل المستقبل.

بحثت عن القلم فلم أجد على المكتب قلما.كان رئيس التحرير ذكيا فدفع إلى جانبي آلة كاتبة خفيفة ذات ملامس إلكترونية، حشر فيها «قنوط» ورق، وما هو بورق. قال:

إمل. أذا أخطأت فستصلح الآلة أخطاءك. ومن هناك إلى الآلة الساحبة ...

قلت لرئيس التحرير:

اطلب من الكاتبة ألا تزعجني بالهاتف.

قال لنفسه هامسا وهو يبتسم:

- هل نعيش مع أهل الكهف...؟

ورفع صوته قليلا يجيب عن رجائي:

ليس عندنا كاتبات... الهاتف يسجل المكالمات، ويجيب المتحدثات والمتحدثين بأنك مشغول.

دخل شاب في قامة عبده ضيوف (لعلم القراء، هذا الإسم كان لفخامة رئيس جمهورية السينغال قبل 40 سنة) قلت لرئيس التحرير.

- أهذا سكرتير التحرير؟

أجاب مبتسما:

- ليس هنا رئيس تحرير ولا سكرتير تحرير. نحن نعمل في مجموعة

- والصحيفة...؟

- ما تزال تناضل وتحقق انتصارات جزئية، ولكنها مهمة.

- لعل وزارة الإعلام تسهم في هذه الانتصارات...

إبتسم مرة أخرى وهو يصحح معلوماتي:

-لا وزارة للإعلام! إستغنى عنها العالم، فقد رشد الإعلام ولم يعد في حاجة إلى وزارة. لم تكن تَعلُم ولا تُعلم ولا تَعلَم... سابقها في اقتناء الخبر والتعليق والتوجيه، وظلت تجتر نفسها حتى انتهت مهمتها.

قلت في فضول:

- إذن وقاكم الله شر رقابة محتملة ؟

وبلعت كلماتي قبل أن يجيب قلم أراد أن أتدخل في موضوع خُيِّل إلي أنه سياسي. حولت اتجاه الحديث وأنا أسال:

كم صفحة تطبعون...؟

أمين دائما يبتسم، ويبدو أن أسئلتي كانت تدعوه للابتسام، فهو حريص على أن يترضاني، ولعله كان حريصا على أن أكتب في العدد الذي يسجل الذكرى الثمانين«للعلم». أجاب وفي صوته نبرة معلم:

- الصحف لم تعد تصدر في صفحات ورق، إن هي إلا بكرة «قنوط» من مادة خفيفة لا تشغل حيزا، ولا تلوث بالمداد يدا، ولا تزعج قراءتها عينين كائبتين.

كان ما يزال يتحدث وأنا أفكر كيف أتعامل مع صحيفة هذا وضعها. ولكن كلمة منه كانت ماتزال تدغدغ طموحي. مقال أكتبه يقرأه مليونان من القراء، عدا الذين يكترون الجريدة أو يقترضونها أو يقرأونها في غفلة عن البائع...

أفضيت إليه بما كنت فيه أفكر. فابتسم مرة أخرى وهو يجيب:

- ذكرتني...قرأت هذا في تاريخ الصحافة في النصف الثاني من القرن الماضي. اليوم كل عدد من الصحيفة له قارئ واحد. مقالك سيقرأه مليونان من القراء فقط.

ما لهذا الرجل يعود بي إلى الوراء كأني من أهل «الكهف. أتحدث له عن واقع فيعود بذلك إلى التاريخ...مليونان من القراء ...؟ سمعنا عن هذا في بلاد الأمريكان والانجليز قبل أن تبدأ صحافتهم في إفلاسها.

قلت:

الثمانين

يكتبه : الاستاذ عبد الكريم غلاب

- ليس هنا رئيس تحرير ولا سكرتير تحرير. نحن نعمل في مجموعة وبعمل جماعي، كلنا رؤساء وكلنا مرؤوسون...

قلت :

- لمن؟

قال:

-«للعلم».«العلم»هي الرئيس، هي التي توجه وتطلب وتأمر. ونحن في خدمتها حتى ترضى...

وجدت نفسي محرجا، فأنا في عالم جديد. سأكتب مقالا مستقبليا بمناسبة الذكرى الثمانين «للعلم». هل سيكون في طول من سميته سكرتير التحرير أو في حجم من أعرفه رئيس التحرير؟ ترددت في السؤال. وأخيرا – وعيناي مثبتتان على الآلة «الكاتبة» أو «المسجلة» لا أدري – سألت:

- هل تريد مقالا في حجم الافتتاحية أو في حجم حديث الأربعاء...؟

ظهرت علامات الاستغراب على وجه من حسبته رئيس التحرير. سألته باستعجاب قبل أن يجيب:

- الإسم الكريم من فضلك، بدأت الذاكرة تخونني...

أجاب دون أن يتلعثم:

- لا تقل ذلك، ذاكرتك قوية ... لعلها أقوى من التاريخ، إسمي لا يحتاج إلى ذاكرة فعمري لا يتجاوز خُمُسَ قرن...إسمي «أمين».

قلت ضاحكا:

- أمين على هذه الدار؟

أجاب:

- وأمين على المهنة، والمسؤولية، وحرية الكلمة ...

ما زلت أتردد في التفاهم مع الآلة. قلت لنفسي:

- لو خرج ثقيل الظل هذا، لأمسكت بقلمي، فإن لي قلما صاحبني منذ عدت من مصر. كان ذلك في منتصف القرن الماضي، وما يزال يسيل لعابا مع الكلمة كلما جاورته ورقة أو جاورها ... تجولت عيناي خلف نظارتين سميكتين فلم أجد ورقا. أجبت نفسي دون أن تسأل:

- الأمر سهل فسيدخل عبد النبي بمجرد لمس الجرس لأسأله الورق... وقبل ذلك أنبهه إلى إخلاله بالواجب فالمكتب بدون أوراق وأقلام ...

نبهتني الآلة الكاتبة أوالمسجلة دون أن تنطق إلى أن عبد النبي سيبتسم إبتسامته الحبية، لأن الأوراق والأقلام لم تعد تدخل هذه الدار من زمان طويل.

خرج رئيس التحرير (دعني أسميه كذلك). بعد لحظات إنفتحت الباب تلقائيا. كان قد بدأ يتكلم قبل أن تنفتح الباب.

-... لعلك إنتهيت من مقالك؟

تطلعت إليه في غضب، لم نكن نسأل أحدا من المحررين:»هل بدأت...هل إنتهيت...؟» ماذا أصاب هؤلاء القوم...؟ قلت وأنا أكتم غضبي:

- لم يبق للمصفف أو المصففة إلا مقالتي....؟

أجاب، وهو يطامن من صوته ... (ولعله بدأ يشك في ذاكرتي): قلت لك إنك أنت المصفف والمصحح والموضب... لا تخش شيئا فالآلة بين يديك، وهي تحت إمرتك في كل ما تريد وما تأمر.

بلاد الأمريكان والانجليز قبل أن تبدأ صحافتهم في إفلاسها.

قلت:

وإعلاناتكم؟

- نصف حجم العدد، وإلا أغلقنا أبوابنا إلى الأبد.

وما تزال كلماته تثير من الذكريات الوردية منها والسوداء. لعل كل معلن، ولوكان وزارة أو إدارة، يدفع بدل إعلانه وإلا أقفلوا أبوابهم إلى الأبد. زمان ...؟ مالي وللزمان الماضي... الرجل يريد أن أكون مستقبليا...

إتجهت بنظارتي إلى عينيه فوجدتهما تنتقلان بيني وبين الآلة. قلت:

- أبارك «للعلم» ثمانينها وأنا راحل ...

هممت بالوقوف.

قال:

- ولم تكتب بعد؟

قلت:

وهل أنتم في حاجة إلى قلم قديم؟

قال:

- نحن في حاجة إلى رأي جديد.أكتب ... أكتب ...

مددت أناملي أبحث عن القلم الوفي في جيبي فاكتشفت أني نسيته. قلت في شبه استعطاف وأنا أبحث مرة أخرى عن قلم وورق على المكتب.

هات قلمك فقد نسيت ...

قبل أن أتم الجملة قال في شبه سخرية:

-أتريد قلما من قصب .. ودواة صمغ؟

-عهدي بهما مع أول عهدي بالكتابة ... أي قلم؟ فكلها مطواعة بين أناملي

قال، وما يزال في صوته رنين سخرية:

- إمل... إمل. فستلقب الآلة ما تمليه أحرفا وجملا دون أن تتعب أناملك، فلعلها تعبت من كثرة ما استعملت.

- أعرف الكتابة ولكني لا أتقن الإملاء.

- وتزعم أنك تلميذ لطه حسين...؟ كان يملي، ولعله أبدع في ما أملاه.

قلت مدافعا عن نفسي:

- تاريخ قدماء المصريين حدثكم عن طه حسين. لقد كان له عذره فأملى ولم يكتب.

- وعذرك أنك تعيش في الربع الثاني من القرن الواحد والعشرين.

فكرت: «لذة الكلمة تنبع من بين أناملي. هذا الشاب سيحرمني من متعة عايشتها عصرا من حياتي. سأملي، ولكني لن أحس متعة في ما أملي.

اعتمدت على الله واتجهت إلى الآلة أملي عليها مقالا كان عنوانه: «مع الشعب»...

× هذا المقال نشره الاستاذ عبد الكريم غلاب ضمن ركن حديث الأربعاء في صحيفة العلم يوم 11 شتنبر سنة 1986 في الذكرى الأربعين لتاسيس جريدة العلم

في ذكرى العلم :

رحيل الأستاذ عبد الكريم غلاب أحد رموزها الكبار

ذكرى العلم هذه السنة ليست كسابقاتها فقد شهدت هذه السنة رحيل الأستاذ عبد الكريم غلاب أحد رموزها الذي ارتبط اسمه بها منذ سنة 1948، اي سنتين بعد تأسيسها، صحافيا ومديرا لعدة عقود، حتى اسم العلم ارتبط باسمه واسمه ارتبط باسم العلم.

ليس من السهل على أحد اختصار مسار رجل شامخ مثل الأستاذ عبد الكريم غلاب في سطور ولا حتى في كتاب، ومن أراد ذلك فعليه أن يختصر مسار الإعلام المغربي في النصف الثاني من القرن العشرين والحركة الوطنية التي عايشها وعايش رجالاتها. وكذلك الصحافة المغربية التي كان ممن أرسوا قواعدها وممارستها في مغرب النصف الثاني من القرن العشرين ومغرب الاستقلال، وما شهدته هذه المرحلة من معارك عديدة: معركة التحديث، معركة الدمقرطة، معركة البناء، معركة الدفاع عن حرية الصحافة وحرية التعبير، معركة البناء السياسي.

لا يمكن في هذه العجالة وأن نجمع شخصية كبيرة من حجم هذا الوطني في حيز ضيف وذلك يقتضي اختزال مغرب ما قبل الاستقلال وما بعده، واختزال زمن الصحافة المغربي، وزمن الأدب والفكر المغربيين، وزمن السياسة المغربية التي كان الأستاذ عبد الكريم غلاب فاعلا فيها بشكل متوازن لا يغلب فيه جانب على آخر، بل أنك تكاد تعرف الأستاذ عبد الكريم غلاب بنفس النفس في مكتبه في جريدة العلم، وبعد ذلك بساعة بنفس النفس في المركز العام لحزب الاستقلال وبعد ذلك يبقى نفس النفس في منزله أديبا ومفكر وقارئا حمل هم الصحافة، وهم جريدة العلم وكان رحمه الله كلما التقيت به وهمست، له بأسمي في أذنه سألني عن حال جريدة العلم فأخبرة عنها خيراً.

عرفنا السي عبد الكريم غلاب كما عرفه كل ابناء المغاربة في الكتب المدرسية ككاتب كنا في شبابنا نختلف معه لكننا كنا نحترمه ونحترم قيميه الفكرية واخلاقه الأدبية العالية.